وسنة ١٧٥٠ عينها البابا بندكتس الرابع عشر استاذة للعلوم الرياضية في مدرسة بولونا الجامعة وهو منصب جليل افتخر به كبار العلماء لكنها اعتذرت عن قبوله . وتولى ابوها سنة ١٧٥٢ فقصرت اهتمامها على تعليم اخوتها وعلى الاعتناء بالايتام حاسبةً ان ذلك ادعى الى تمجيد الله من الاشتغال بالعلم . وباعت الاثاث الرفيع الذي اهدته اليها امبراطورة النمسا وانفقت ثمنهُ على المعوزين . وزاد عدد المستضعفين الذين كانت تعتني بهم حتى بلغ مرةً اربع مئة وخمسين وكانت تجمع لهم الصدقات من اصدقائها لانها لم تنقطع من معاشرة الناس ومعاملتهم . وتوفيت في اوائل سنة ١٧٩٩ بعد مرض طويل

وغرضنا من نشر هذه الترجمة بيّن وهو الاعتراف بالفضل لذويه رجالاً كانوا او نساء . والمجاهرة بقصورنا عن ادراك الاوربيين حتى نسائهم في المطالب التي يقال ان للشرقيين ميلاً فطريًّا اليها

استرجاع السودان

حدث هذا العام حادثان من اعظم حوادث التاريخ شأنًا واشدها في العمران اثرًا وهما تقليص قنال اسبانيا عن اكثر الجزائر التابعة لها وعتق بلاد السودان من نير المهدوية وردها الى الحكومة المصرية

والسودان (او بلاد السودان) بلاد واسعة الاكناف كثيرة الخيرات تمتدُّ من حدود شمالاً الى منابع النيل جنوبًا ومن البحر الاحمر وبلاد الحبشة شرقًا الى صحراء ليبية وبلاد وداي والكنغو غربًا . يمرُّ فيها نهر النيل فيحيي مواتها ويجزل خيراتها وتوالاهُ تكانت صحاريه ومفاوز لا يسكنها انسان ولا يعيش فيها حيوان . سكانها سود الوجوه فسميت بالاضافة اليهم وهم من شعوب مختلفة و بعضهم من قبائل العرب الذين هاجروا اليها منذ نحو ستة قرون . قال صاحب تاريخ الحرب السودانية "انهم طوال القامة حسان الوجوه مشهورون بالشجاعة والمروءة وعزّة النفس منقسمون الى قبائل شتى متفرقة في انحاء البلاد يفتخرون بجنسهم ونسبهم ولذلك ندر اختلاطهم بمن حولهم من القبائل . ولم يزالوا في اوصافهم على ما كانت عليه العرب ايام عزها ومطوتها من شدة الحمية والانفة ومضاء العزيمة والصبر على المكاره" . ثم نقل عن احد كتّاب الانكليز قولهُ "انهم قوم كالاسود لا يقعدون عن حرب ولا يتربصون للدفاع بل

يهاجمون عدوهم ويقتحمون صفوفهُ بصدورهم وينقضُّون عليهِ كالنسور مجتمعين معًا في زمان لا يعلمهُ احد ومن مكان لا يدري بهِ احد فيلقون الرعب والنهابة في صدور رجالهِ . وشهيات ان يوليك عرابي ظهرهُ في ساحة القتال ولو سدِّدت الى صدرهِ فوهة البنادق والسنان"

ولقد اهتمَّ ملوك مصر الاقدمون باكتشاف منابع النيل فبعثوا فيهِ السرية بعد السرية وفتحوا البلاد التي بين اسوان وبربر من عهد المصريين القدماء والمرجح انهم اكتشفوا البحيرات التي يخرج النيل منها قبل عهد الرومان كما ترى من خريطة بطليموس التي رسمناها في الجزء الثامن من اجزاء هذه السنة

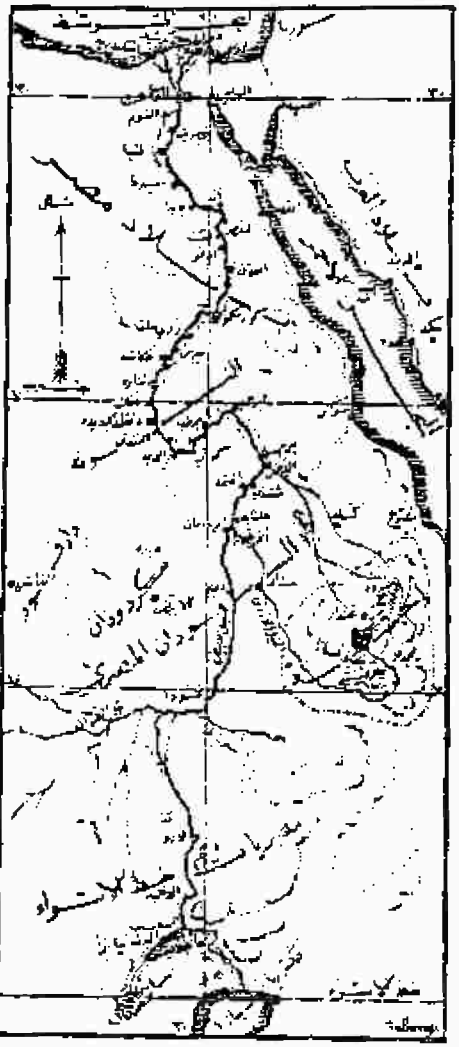

مصر والسودان

ولما فتح العرب الديار المصرية في صدر الاسلام كان اكثر سكان السودان يدينون بالنصرانية فتوالت غزوات العرب عليهم الى القرن الثامن للهجرة ففتحوا بلاد النوبة حينئذٍ ثم امتدوا في فتوحاتهم جنوبًا الى ان شملت بلاد السودان كلها ونشروا الاسلام فيها وكثر الراحلون منهم اليها ومن ثمَّ صارت ممالك عربية مستقلة وبقيت على استقلالها الى ان استتبت الولاية في الديار المصرية لمحمد علي باشا الكبير فبدا لهُ سنة ١٨١٩ رأي لا يخطر الاَّ على بال ذوي المدارك العليا والهمم الكبيرة والعزائم المواتي وهو فتح السودان فغابت ربع اولاها فتح ابواب الرزق واكسب لانصاره من الترك الاربوَّد الذين قهر بهم ممالك ورقَّ شملهم . وثانيها قطع دابر من بقي من اولئك المماليك في بلاد دنقلة . وثالثها امتلاك مناجم الذهب في بلاد سنَّار . ورابعها تجنيد السودانيين في جيشهِ وتعزيز قوتهِ بهم لما كان مشهورًا عن شجاعتهم

وتاسعهم ... وسنتكلم على فتح الحبش لاكثرهم في نحو ستين ثم تولى فتح بلاد النوبة باشكر فيها بالجنود المصرية نحو الاستوا. وكاد يتمها وفتح زبير باشا بلاد دارفور سنة ١٨٧٦ وضمها الى حكومة المصرية فاستتب لها حكم السودان كله. ولكنها لم تحسن ادارة الاحكام فيه فثقلت الضرائب على عاتق الاهلين وتعسف الخاسة وقبض من كثير منهم عند كبرائهم. ثم كانت الثورة المهدية فدخلت شوكة الحكومة هناك وكان السودانيون قد استثقلوا وطأتها كما تقدم فما ظهر المهدي ودعاهم الى متابعتها لبّوا دعوته على ما بيناه مفصلاً في المقالات التي خصصناها من كتاب سلاطين باشا ونشرناها في المجلد العشرين من المقتطف

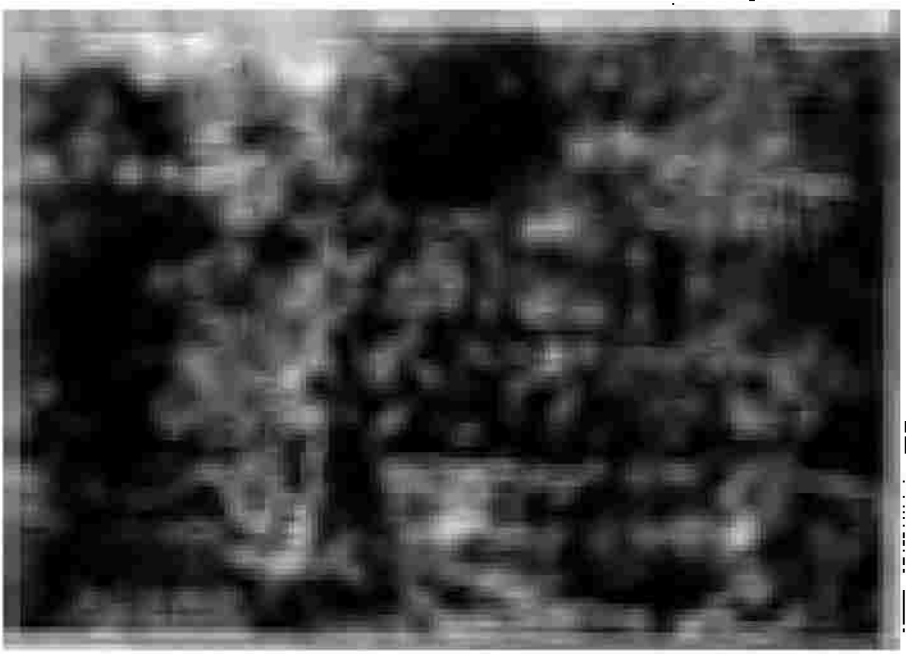

السلطان بسعة وستين رجلاً

ومات المهدي وخلفه عبد الله التعايشي مشيرة الاولى الى الحركة التي ادعاها المهدوية ومناوأة الحكومة المصرية والتضعير عظائم الملك والسودد في رجال قبيلته التي هم دون سكانهم اذلاء خصيصة واستعز بهم وخدمه السعد في اول حكمه وكان رجاله يجاربون في صفوفه مستلبين عن غيرة دينية وعقائد راسخة فكانوا ستاراً وكسالا وتغلبوا على الاحباش وقهروا الثورات الداخلية واوقعوا بالتاريس. وسقط وظفر والفظ وتسوة من صباحه وبذلك

(١) سيرد العصر الاول من تاريخ حرب السودان مصوراً في مجلة المقتطف

كان يتش هذا ويقيّد ذاك ويقطع توصال ذلك ويستولي على اموالهم وذراريهم . وأتى مرة بسبعة وستين رجلاً مع نسائهم واولادهم وكانوا متهمين بالتخلف عن نجدة ولد النجومي فامر ان يقتحوا ثلاث فرق فرقة تقتل شنقاً وفرقة تضرب اعناقها وفرقة تقطع ايديها وارجلها من خلاف ففعل بهم رجاله حسب امره وطاف عليهم بنفسه عند التمثيل بهم ووجهه طافح سروراً كما ترى في الرسم السابق وهو منقول عن كتاب سلاتين باشا وفيه اوضح مثال وابلغ بيان لحكمه في بلاد السودان

وفي الثالث عشر من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٦ اقرّت الحكومة المصرية على فتح السودان كلهِ بعد ان كسرت شوكة التعايشي في واقعة طشكي وطوكر وبثت الحماسة في قلوب رجالها والرعب في قلوب رجاله . فتغلبت على جنود الدراويش في عكاشة وتركة وسواردة ودنقلة في خمسة اشهر ومدّت سكة الحديد الى هناك

وتولى الزحف ومدّ سكة الحديد في العام الثاني وبلغت الحملة مدينة بربر ففتحتها ثم نازلت الدراويش على الاتبرة هذا العام في واقعة تشيب الاطفال وكانت الجنود الانكليزية مع الجنود المصرية تفترق شمال الدراويش كلّ مفرّق وأمير اميرهم محمود وهو يتوعّد ويتهدّد ويقول ان كنتم ايها المصريون قد انتصرتم علينا هنا فاصبروا حتى تصلوا ام درمان وتطلقوا بين فيها من الابطال والفرسان فما نحن الاّ شرذمة من جيشهم الجرار وقطرة من بحرهم الزخّار

ولما ارتفع النيل هذا الصيف وسهل سير السفن الحربية فيهِ وعبورها من شلال شبلوكة عاودت الحملة الزحف على ام درمان والرايات الانكليزية تخفق بجانب الرايات المصرية والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان انصرم شهر اغسطس وحينئذٍ وصلت الاساطيل الى جزيرة توتي وهي بين الخرطوم وام درمان واطلقت عليها القنابل سبع غرة سبتمبر وخربت حصونها وحصون ام درمان وهدمت قبة ضريح المهدي ولكنها لم تضعف عزائم اتباعه

وصباح يوم الجمعة وهو الثاني من سبتمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان فوجدت جيوش التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفاً من الابطال بين فرسان ومشاة فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ورصاص البنادق يحصدهم حصداً وهم لا يلوون اعنة خيلهم ولا يحسبون للموت حساباً الى ان فني نحو عشرة آلاف مقاتل منهم واستلأت الارض بقتلاهم وتقدّم السردار قاصداً ام درمان لكي يتنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها وحاول التعايشي حينئذٍ ان يخترق الجناح الايمن فقوبل من جنوده بعزم شديد وجاش رابط واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليهِ فرقت شمل اتباعهِ فولوا مدبرين لا يلوون على احد ونجا

هو بنفر قليل من اتباعه بعد ان قُتل اكثر رجاله وانصاره

وقد قال من رأى الدراويش مرأى العين وهم يحاربون "ان المرء لا يستطيع الا أن يعجب بشجاعتهم فانهم كانوا يتقدمون ثم يجتمعون ويهجمون على صفوفنا الى ان يفترا عن آخرهم . وكان امراؤهم يهجمون على الموت هجوم الاسود الكواسر تشجيعاً لرجالهم فيصل بعضهم الينا قبل ان تكتنفه مجاري الرصاص المتهالة من بنادقنا ومدافعنا ثم اذا اصابته رصاصة فوقع يدور وهو في النزع ويردّعنا برصاصة من بندقيته"

اما السردار فاحتل ام درمان عصاري ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها من جنود التعايشي مقاومة قليلة. ودخل سبيل من فيها من الاسرى وهم من امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واحباش . وقد قُدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا الجثث الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم يفوق ستة عشر الفاً واباحوا أخذوا اسرى

وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و ٢٧ عسكرياً وجرح ٧ ضباط و١٠٣ من العساكر. ولم يقتل احد من ضباط الجيش المصري ولكن جرح ستة من ضباط الانكليز و ١٠ من ضباط الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك . وقتل ٣٥ من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ . وقتل مكاتبي من مكاتبي جريدة التيمس وجرح الآخر

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم واحتفل احتفالاً بهيجاً باسترجاعها وبذكر غوردون باشا الذي قُتل فيها ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية

وسار بعد ذلك باورطة من الجنود المصرية وفرقة من الجنود الانكليزية الى مدينة شنودة على النيل الابيض جنوباً ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر وكتب يقول انه رفع عليها الراية المصرية وابقى فيها حامية من جنوده. ثم سار في البحر الابيض جنوباً حتى وصل الى سوبات على ٢١ ميلاً من شنودة فاقام فيها حامية اخرى ورفع الراية المصرية عليها وولى في شنودة ضابطاً فرنسوياً اسمه مرشان وطلب اليه ان يأتي معه الى الخرطوم فان ما لم ترسل اليه دولته تأمره بذلك فتركه فيها

وكان ولد الفضيل من امراء الدراويش لا يزال في القضارف ومعه ثلاثة آلاف مقاتل فهاجمه برسوتز باشا في ٢٢ سبتمبر بحامية كسلا وجرت واقعة هائلة بين الفريقين دامت ثلاث ساعات قتل فيها ٥٠٠ من الدراويش وتفرّق شمل الباقين. وقتل ضابط وطني من حامية كسلا وجرح اربعة ضباط وقتل ٣٧ من صف الضباط والعساكر وجرح ٥٥ ووقعت القضارف في يد الحكومة المصرية فتم بذلك فتح السودان الشرقي كله